العدد (1757) السنة السابعة - الثلاثاء (30) آذار 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

أمـــا آن الأوان لمغـــادرة هـــذه الإخفـــاقـــات المتتـــاليـــة؟

اعترف انني حزين للنتيجة البائسة التي حصل عليها "الشيوعيون" في الانتخابات، ليس لأنهم لا يستحقونها، ويستحقون افضل منها، وأفضل منها بكثير، بل لأنني توقعت هذا الاخفاق، وكنت ارى ان القيادة الشيوعية غامرت بسمعة الحزب واليسار في اشتراكها بلعبة خاسرة، وقد سددت لنفسها ضربة هائلة ، لأنها لم تتعب نفسها في القيام بتحليل سياسي وسيكولوجي لطبيعة المعركة الانتخابية وتغير المزاج الجماهيري .

مظاهرة في بغداد

سهيل سامي نادر

دعاية اخلاقية

احد اصدقاء الشيوعيين المقربين الذي توقع نتيجة مقاربة حثني على التصويت لهم قائلا: على الاقل يفوز ابو داوود! لا اقول نكتة هنا، بل هذا ما حصل فعلا. إنه اسقاط سيكولوجي صريح ، فهذا الهبوط بالاهداف، هذا التواضع المحزن، لا يصف لحظة سيكولوجية بائسة تقنع بالقليل، بل يصف عناصر كثيرة في السياسة الشيوعية : واقعية سياسية بلا افق ، قناعة بأن الدور الشيوعي لا يسعى الى تسجيل اهداف بل مجرد البقاء ، ممارسة الحكمة مع غير الحكماء ، القيام بدور المساعي الحميدة بين أسود السياسة العراقية وثعالبها الطماعين والمتخاصمين .

ماذا كانت النتيجة؟ الاسود ، والغيلان ، والافاعي، سلّموا للحزب الشيوعي بأخلاقه السامية وقالوا له وداعا.

نعم .. الكثير من اصدقاء الحزب كانوا يتوقعون هذه النتيجة الا الحزب نفسه، الا ابو داوود شخصيا ، بيد انهم لاسباب اخلاقية اعطوا اصواتهم لقائمة "اتحاد الشعب"، مقنعين انفسهم بأن الشيوعيين ظلوا اوفياء للشعب، وأبعدوا أنفسهم عن السرقة واللعب بحياة مواطنيهم .

ازاء توقع الفشل، والشعور بمفارقات الواقع وغدره، وانعدام الخطط أو غموضها، اختار الشيوعيون الحديث عن السراط المستقيم بوصفه طريق ممشاهم الاخلاقي والروحي اليومي، وقد ساروا عليه ، من دون أن يلتفتوا يمنة ويسرة، في الوقت الذي كانت فيه السياسة ترتبط بالسرقة وتجهز على ما تبقى من الدولة العراقية.

لم يتبق اذن غير الاخلاق يتباهى بها الشيوعيون. لماذا؟ لأن لم تعد السياسة في العراق اخلاقية. فهل توهموا بأن الاخلاق سوف تميزهم، وترفع من هاماتهم فوق اولئك الذين ملؤوا جيوبهم بسرقات الدولة العراقية المنهارة، اعلى من منافقي الوطنية الذين قبضوا الملايين من الجهات الاجنبية ، اعلى كالنسر المحلق فوق ذلك الدود الاسود الذي ينخر بترابنا ومؤسساتنا؟

لكن ليست هذه سياسة بل دعاية عائلية في مشروع خطبة يد آنسة مصون!

لقد اختاروا الصمت

دعونا نغادر هذه البيانات الاخلاقية الى الواقع الفعلي . فمنذ ان ظهر الشيوعيون في الشارع بعد نيسان ٢٠٠٣ طمعوا بممارسة دور سياسي من دون أن يمتلكوا قواعد جماهيرية ثابتة ولا تنظيم يستطيع ان ينهض بعمل. كان عليهم ان يبنوا كل هذا، وهو امر مشروع وضروري . كل سياسة تحتاج الى جسد تنظيمي ، الى حقل قوي خاص يدور حول نواة صلبة. إذن سيحتاجون الى وقت ، الى زمن يملأ عروق الحزب بالدماء الجديدة التي لا خبرة لها ، والدماء القديمة ذات الخبرة. بيد ان الشيوعيين قبل ان يبنوا شيئا من هذا غامروا بسمعتهم السياسية بالانخراط في العملية السياسية التي ادارها بريمر. ويبدو أنهم شعروا بالخوف من ان يمضي الزمن السياسي الجديد من دونهم ، وكان عليهم ان يلحقوا به يركوب نفس القطار المتهادي الذي ركبه الاسلاميون من جميع الملل والنحل وبعض التقدميين والاكراد المنظمين جيدا. لقد جرت كامل العملية السياسية التي ادارها بريمر في الكواليس، وانتهت باحتفال بائس اعلن فيه تشكيل مجلس الحكم . بدا هذا المجلس هو الافق الواقعي الوحيد ، هو السياسة المتبقية في زمن الحرائق واللصوصية. وحسب علمي كان للشيوعيين رأي آخر ، وهو تشكيل حكومة قوية تمثل توافقا وطنيا واسعا وتعبر مرحلة التحول هذه بأقل الخسائر. وكانوا على صواب مرتين، مرة بطرح مشروع مستقل، ومرة في ارباك المخططات الامريكية. لو نجحوا لتغيرت بعض المسارات اللعينة، لو فشلوا لحازوا على احترام الناس، وما كانوا قد وصلوا الى هذا الفشل الناتج عن المساهمة في وليمة ليست معدة لهم. لكن حدث الآتي: بدلا من الانسجام مع حدوسهم الاولى، وبدلا من اعلان هذه الحدوس على الملأ لكي يميز الناس بين سياسة وأخرى، بين الشيوعيين والأكراد على سبيل المثال، بينهم وبين الاسلاميين كذلك، مارسوا سياسة الكواليس وقوانينها المقدسة : الصمت !

لقد صمتوا حتى هذه الساعة على غدر الآخرين بهويتنا العراقية لمصلحة الاثنيات والطوائف. من يصمت يعني انه موافق. يتمحل الا انه موافق: هذا هو درس اخلاقي كذلك، الدرس الحقيقي للاخلاق من دون الدخول بمباراة تعداد مزايا شرف الحزب الذي لم يتلوث بعد.

الصغار والكبار

إن قوانين الكواليس ستفرض هيمنتها على الصغار على نحو خانق، على الشيوعيين بوجه خاص، ولسبب مفهوم، وهو ان الكبار طرحوا انفسهم كممثلي طوائف واثنيات، اي انهم ممثلو كتل تاريخية تريد ان تنتقم من "المظلومية" السابقة، وقد حازوا لهذا السبب على حقول قوى جاهزة، مبنية على التذكارات التعيسة الموصولة باحكام طقوسي بالماضي الشعبي، ولها اهداف عاجلة، وتضيف اليها الشعائر والمناسبات الدينية مادة حية لتقوية التنظيم والدعاية ، فما الذي يمتلكه الشيوعيين بالمقابل لكي يعيدوا بناء حزبهم وينتشروا على ارض العراق المجرّحة؟ عيد الجلوس اللينيني؟ لكن آه- بلا سخرية لطفا- هناك ذكرى ثورة تموز التي باتت من كثر المدائح غير النقدية لها تماثل بيرقا ممزقا يلقي ظله المشظى على هامات الشيوعيين. بيد انها موضوعيا سراج بلا نار، ذكرى بلا شرار، نشيد بلا حماسة. هذا ما تبقى!

وحدها سياسة العلاقات العامة هي التي جربها الامريكان ، وهي سياسة تفريغ الشارع العراقي من السياسة وتركه يرعى على بركة الارهاب المنظم واللصوص ومشعلي الحرائق والانفجارات والمفخخات. الكواليس هو الوجه الآخر لهذه السياسة، وقد انسجم الشيوعيون معها لعدم امتلاكهم جسما ولا حقلا للقوى غير هذه الزفرة الهزلية التي تصلح للبنات المراهقات: الذكرى ناقوس يدق في وادي النسيان!

لقد وجد الهوس التنظيمي الذي يتحلى به الشيوعيون تجسيده في العمل وسط الكواليس وليس بين الجماهير . فما الذي يقال عن هذا السلوك الغريب الذي لا يتفق مع التنظيم الشيوعي: سيقال أن الواقع معقد وخطر ، وعلينا ان نكون عامل تهدئة ، وأن نتحول الى جماعة عقلانية تحاول جمع الرؤوس المهووسة بالتمثيل الطائفي والاثني !

من الواضح ان الشيوعيين سيجدوا لهم عملا واسعا وسط جنون التمثيل الطائفي والاثني السائد ما داموا لا يشكلون خطرا على احد ولا ينافسون احدا. عمل يمكن عده وطنيا واستثنائيا، وهو ان يتخصصوا بتمثيل الممثلين في ايام الصخب والاخطاء والنذالات والدسائس. سيجمعوا الرؤوس حول طاولات النقاش، سيكملوا الجمل الناقصة، سيطيّبوا الخواطر المهتاجة، سيضربوا المثل على العمل الدؤوب، سيسلّموا للاكراد بقانون ١٤٠ ، ويسلموا لعرب كركوك بمخاوفهم ، وهكذا في الموصل، وبين البشبشة والضحكة، بين اجتماع واجتماع، بين جمع هذا الرأس الحامي مع ذاك الرأس الفصيح، سيلتمع خدا ابو داوود الحمراوين الحليقين، وتحلق شخصيته باناقتها الظاهرة ولثغتها الطفولية وأفقها الرياضي، وسيظن هو ولجنته المركزية أن ما يتحقق على المستوى "الوطني" سينعكس على الحزب، وأن حزبا يمارس دور عامل التهدئة والعقلانية قد يختاره الشعب لجائزة الوحدة الوطنية محمولا على الاكتاف، وهذا بالتأكيد سينعكس (يا لمرح النظرية الانعكاسية) على التنظيم. بيد ان الشيوعيين في الواقع سيجدوا انفسهم بلا كرسي يجلسون عليه، فليس كرسي مجلس الحكم لهم بل سجّل لحساب طائفة بعينها ومجيّر لها. أما الحصول على وزارة الثقافة في ظروف كان الناس يذهبون فيها الى بيوتهم منذ الساعة الثانية ظهرا فهي حصة "اللااسياد" في وزارة لا عمل لها (بالطبع لا ننسى اشاعة مفادها ان الشيوعيين مثقفون)، وقد اتضح في ما بعد أن هذه الوزارة تليق لشرطي متهم الآن بجريمة قتل. أما وزارة التكنولوجيا ..هل هذا هو اسمها؟!

الشجاعة والربط

لنتبارى مع الشيوعيين في ايجاد التبرير اللازم لهم. في الحقيقة اننا نسلم بتعقيدات الوضع العراقي المحتل، بيد ان خياراتهم في جعل صوتهم اخفت من صوت عذراء، واعتمادهم على مبدأ الواقع ، هذا الواقع الذي لم يحلل، ولم يدرس سوسيولوجيا ونفسيا (تراث الشيوعيين العراقيين النظري يوازي صفرا) جعل من سياسة امر الواقع تنزل بالشيوعيين الى مستوى المسغبة في كل شيء. والحال أظهرت الوقائع ان بعض رجال الدين هم اكثر شجاعة منهم، وثمة رجال سياسة جدد من مختلف الاطياف رفعوا عقائرهم صدقا او كذبا وباتوا نجوما، بل أن رجال الحكم انفسهم انتقدوا ما آلت اليها الاوضاع وقالوا اشياء تقشعر لها الابدان ، في حين ظل سقف الشيوعيين منخفض مثل اصواتهم. لقد تسنى لي ان اراقب عددا من الشيوعيين في ندوات وحوارات تلفزيونية وهالني انهم بلا طعم ولا رائحة، هادئون، عقلانيون، كلامهم لا يجدح ، تصريحاتهم لا تقلقل ولا تسبب الاثارة، جملهم مفككة اشبه بالهمهمة ، فهل يعطي العراقيون اصواتهم لجماعة هامسة غير مستعدة للعراك في زمن العراك، وغير فعالة في اي حجاج علني في زمن الهلوسات والثرثرة والاساطير والالم والخوف؟

لا يخلو العمل بين الكواليس من نتائج، على الأقل يمكن الاطلاع من خلله على السلوك السياسي للقوى الاخرى، أو يعطينا صورة عما يجري، أو يقربنا من استنتاجات مهمة. ليس عمل الكواليس باطلا كله ما دام الجميع متفق على قضاء احتياجاته في الغرف والممرات، وما دام الامر يتعلق بمشاورات هدفها التأسيس: للبرلمان، للانتخابات، لتشكيل الوزارة، والاتفاق على اجراءات محددة تحتاج الى لجم الاندفاعات. فما الذي تعلمه الشيوعيون من سلوك الكواليس؟ الصمت كسياسة واقعية، ابتلاع الاهانات، سياسة الثعالب، وأخيرا وجدوا انفسهم بين الممرات التي تفضي في آخر المطاف الى شارع خال. والحال ان الشيوعيين فشلوا في اقامة رابط ديناميكي بين الكواليس والعمل السياسي في الشارع، حتى انهم نسوا معلمهم لينين الذين نعرف كم كان كلبيا (بالمعنى الفلسفي) في السياسة، وكم كان براغماتيا، وكيف كان يربط بين العمل في "الدوما" والنضال الثوري في المجتمع، بين الصحافة الصفراء وتنظيم اضراب. لقد ظلت سقوفهم منخفضة لا تتناسب مع سقوف الآخرين واساطيرهم، معتقدين ان سلوك خصومهم ومحاوريهم هو مجرد سلوك سياسي ناتج عن احتكاكات او (انعكاسات) الوضعية الراهنة ، ولم يميزوا الجزء الاسطوري والرمزي الفعّال في سلوك الرجال ، في سلوك كل سياسة ، فكيف الحال مع سياسة تتمسك بالتمثيل الطائفي والاثني في القرن الواحد والعشرين ولا تحيد عنه الا بالتحايل ، أو بعد وقوع الفأس بالرأس؟

لكن من لا يحلل نفسه لا يستطيع ان يحلل الآخرين ، والشيوعيون الذين طالما تباهوا بأنهم ورثة نظرية علمية في التاريخ والاقتصاد والمجتمع ، لا يعرفون من نظريتهم غير الصورة التي تتطاير منها افكار تجريدية تمارس وظيفة الماسحة لغرائزهم العادية الثورية التي هي اقل تضليلا وأكثر ذكاء كما اعتقد. انهم اذن لا يعرفون تحليل انفسهم ولا الآخرين وحسب بل ويضعفون قواهم الحقيقية القادرة على العمل وأخذ المبادرة ايضا.

الاستقلالية والاخفاق

لقد حصل الشيوعيون على مقعدين في البرلمان بسبب وجودهم في كتلة العراقية، ثم خرجوا من هذه الكتلة من دون ان نتبين السبب الحقيقي. يقال ان علاوي يتفرد في الرأي، لكن ليس ثمة حيثيات على هذا في اي قضية اثير حولها الجدل اللهم الا ما نعرف ان علاوي له (رأي) في قضية كركوك وبعض القضايا الخلافية التي يشترك بها مع قوى اخرى من ضمنها القوى الاساسية في الحكومة . هل نصدق أن خلافات رأي مع علاوي تجعلهم يغادرون كتلته في الوقت الذي ظلوا سادة "المساعي الحميدة" و"اصلاح ذات البين"؟

والحال ان تحالفاتهم في الانتخابات المحلية " المترددة" أظهرت حقيقة افق ادارتهم السياسية التحالفية، وسر اخفاقهم الكبير الاخير. فهم يختارون حلفائهم من "خرج" الماضي، من المستودع القديم ، من اخلاصهم المتين للماضي وليس من خلل تحليل حسي لعلاقات القوى القائمة. لست ادينهم هنا لانهم غادروا قائمة العراقية ولكن لا استطيع ان اتبين ان سلوكهم ذاك كان اختيارا املته الاستقلالية وحدها. وأظن ان انتباههم على استقلاليتهم الذي تجلى مؤخرا في قائمة "اتحاد الشعب" كان محاولة لمعرفة جماهيرهم الحقيقية من جماهيرهم الافتراضية. فبعد ان يئسوا من حلفاء الماضي والحاضر، وبعد ان قدموا عرضا ضعيفا في الانتخابات المحلية، لم تعد جماهيرهم نفسها تثق بأنهم سيحققون شيئا في موازنة وطنية جديدة. لقد عرفت الكثير من اصدقاء الشيوعيين انتخبوا قائمتي علاوي والمالكي، لانهم انتهوا الى نتيجة مفادها ان فوز " كلكامش" يحتاج الى خلق "انكيدو" ، وفوز اي من "البطلين" هو فوز للاقوياء القادرين على حلحلة الكابوس المخيم على العراق. وفي كل الاحوال أمل هؤلاء ، حالهم حال الناس، من أن فوزا صعبا سيعلّم الفائز الحذر والواقعية والوفاء بالوعود.

شخصيا لا احب الاستقطاب، ونتائجه قد تكون وخيمة في بلد لا يمتلك تقاليد ديمقراطية. لكن من يستطيع ان يمنع تنافس الخيول السريعة ؟ سواء فاز الاول على الثاني بالتصوير أو بمسافة مريحة، فإننا نأمل ان ينتهي الامر بسلام بلا عض.

إن عراقيي اوروك قبل نحو ٦ الاف عام كانوا حكماء جدا عندما طلبوا من اللالهة خلق منافس لمستفرد، وفي النهاية انتصر مجلس حكماء المدينة على التهور وطالبي المجد والسلطة. إن قصص السياسة المغلفة بالاساطير في العراق القديم انطلقت كلها من لحظة غير متوازنة لتحقيق التوازن. كان هذا ديدن العراق ولازال. كان هذا ديدن السياسة في "الجمهورية" لافلاطون كذلك: التوازن والسعادة!

ما الذي عرفه الشيوعيون عن قواهم؟ لا اظنهم في موقع يستطيعون فيه أن يعرفوا، ليس لأنهم خسروا، بل لأنهم لا يعرفون لماذا خسروا، ولماذا كان رهانهم على استقلاليتهم قد فات اوانه، وقد فات حقا على نحو يماثل العقوبة. إنهم فوق هذا وذاك لم يدركوا طبيعة المعركة، على الرغم من انهم عاشوا في الكواليس لمدة طويلة، وتعرفوا على ابطال اللعبة. والحال انهم لا يمتلكون التنظيم الذكي الذي يحلل توازنات القوى على نحو موضوعي، وهم حتى الان، وقد اختاروا المراهنة على قواهم وحدها، لم يحللوا النتائج السياسية التي تطفوا من حولهم والتي قررت موضوعيا اهمالهم وعزلهم. لقد استخدموا التصنيف الاخلاقي البائس في الدعاية الذي قد يفيد في الحواشي وليس في المتن السياسي والفكري. ولا اظنهم سيفيقون من هذه الصدمة ويتعلموا منها، فهاهم يتهمون مفوضية الانتخابات ويكيلون النقد للنظام الانتخابي الذي خبروه حقا، ولكن لم يشيروا في نقدهم ، ولا حتى بالتلميح، أن كلا من المفوضية والنظام الانتخابي هما من صنع الكواليس والنظام السياسي الحالي. حتى وهم ينتقدون يختارون اهدافا سهلة. وعمليا يبدو ان نقدهم للمفوضية يخدم البعض ولن يخدمهم .

إن لعبة الصغار الذين يمارسون الذكاء والتمحل انتهت. النظام السياسي يعمل وابطاله لا يحتاجون الى خدمات الصغار الا اذا مثلوا شيئا.

استدراك ونتائج

ادرك ان الشيوعيين سينزعجون من هذه المقالة، وادرك ايضا ان بعض القوى ستريحهم جدا. لست مسؤولا في الحقيقة عن اي التباس، عن الانزعاج وعن التهليل. لكن ما دام الشيوعيون سيشرعون في تقويم تجربتهم ، وهذا ما اظنه ، فعليهم ان يدركوا الان قبل الغد ان اخفاقهم المجلجل يتجاوز هذا النقد. إن صحيحي الفؤاد والعقل وحدهم من يتعلم من الاخفاق، ويتعلم من خمشات النقد، وجروح التجربة. هذا هو المبدأ . بيد انني اصارحهم القول بكوني اكثر يأسا من ان ابني توقعات خاصة بتعلمهم في حدود هذه التجربة التي تمتصها وضعية تاريخية كاملة وتعيد وزنها بمعايير روح هذا العصر. لقد دأب الشيوعيون على نقد اخفاقاتهم السياسية المتكررة من دون ان يتغير الطابع النوعي لثقافتهم السياسية ولمبادئهم التنظيمية، لعل السبب انهم ظلوا يحومون فوق ماضيهم وتراثهم المليء بالجراحات والاخفاقات والمناورات والانشقاقات والخسائر غير المبررة غير قادرين على انتزاع انفسهم منه. وبكلمة ظلوا شيوعيين. هذا هو مربط الفرس. ولقد ظلوا شيوعيين بالمعنى السيء للكلمة، بمراجع فكرية وسياسية قديمة ومهلهلة، وبالاعتماد على نفس الذكريات والرموز التي ينفخون بها كل عام بالمناسبات. لاشيء تغير في الحقيقة . إن الماضي الشيوعي ظل مرجعا ، وكلما زادت الاخفاقات في الحاضر ارتكن الى تاريخ الحزب مجددا بوصفه تاريخا حيا ، هنا والآن، والى الرمزية الشيوعية المدوخة بوصفها ربة الحكمة والاخلاق، ولهذا السبب لم يستطع هذا الحزب ان يكون نواة للقاء اليسار العراقي او للديمقراطيين التقدميين. من لا يتغير لا يستطيع ان يقود اي تغيير. ومن لا يعرف ان الشيوعية غادرت الميدان الفعلي سيجتر تاريخا غادره التاريخ. أما آن الاوان ان تنضاف دينميكية الشيوعيين العراقيين الى حزب ديمقراطي اشتراكي جديد؟ إنه اقتراح.

استخدم في النهاية ماركس الذي لا يعرفه الشيوعيون : "لقد قلت وخلّصت نفسي".

مشهد الشارع العراقي بعد الانتخابات

نجاة الكواز

بعد مخاض الصراع الانتخابي وانتهائه باكتمال عملية التصويت للناخبين ووضوح الرؤى السياسية في العراق وبهذا الحدث الوطني الديمقراطي أصبح المواطن العراقي أكثر دراية وخبرة في مجال الانتخابات ومن الجميل أن أجد أبناء العراق لأول مرة منذ فترة طويلة جدا باتفاقهم في دواخل نفوسهم العراقية الأصلية على أن يصوتوا في الانتخابات التشريعية لمعرفتهم بذلك التأثير العجيب لأصواتهم في تقرير مصير بلادهم لخلق حالة من التناغم الهرموني في الجمال يلوح في أفق البلاد نحو الإصرار والعزيمة لدى أبناء المجتمع العراقي على الرغم بكل ما مروا به من حقب استبدادية طويلة عانوا فيها الامريين ومرحلة ما بعد السقوط عام ٢٠٠٣ وما تكالب عليهم من الأوجاع والآلام التي تمثلت بالتهجير والقتل الطائفي وخلق حالة من اليأس والعزوف عن الحياة ولكننا ألان نشاهد بان الناس ينهضون من جديد وكأن الحياة بثت إليهم مرة أخرى وأصبح الأمل يمشي داخل عروقهم العراقية هذا المشهد الرائع هو من أجمل المشاهد التي كنا بحاجة لمثل هذا الثبات في الآراء والإصرار والعزيمة القوية لتحدي الإرهاب والمتطرفين والهاونات ووضعهم في زاوية ضيقة مظلمة لكي يعرفوا بأنهم لن يستطيعوا أن يثنوا الناس عن الذهاب الى صناديق الانتخابات ويختاروا بكل حرية وشفافية ونزاهة ويشعروك بأنهم يكتبون بدمائهم أشارة صح بأصابعهم على القوائم الانتخابية.

علينا أن نحمد الله كثيرا لوصولنا إلى اليوم الذي أصبحنا فيه نختار من نريد ترشيحه لكي يمثلنا ونزعنا من قلوبنا خوفنا من المجهول بثورة الأصابع البنفسجية.

نحن بهذه التجربة نكون قد وضعنا أقدامنا على أول خطوة من خطوات الشعوب الحضارية وأثبتنا للعالم بأننا شعب متمدن يساير ركب الحضارة ،واستطعنا تطوير علاقاتنا الإنسانية لخدمة مجتمعنا ايجابيا وابتعدنا عن القوة والسلاح والعنف لتحقيق غايات كبيرة واتفقنا على احترام الآخرين باختلاف انتمائهم وعقائدهم نقطة لتأسيس دولة قانونية سليمة تستخدم الدستور والقضاء لحل جميع قضايا البلاد في مجتمع ما يزال حديث الديمقراطية وجعلها غاية حقيقية وبالتالي نقلها إلى الأجيال القادمة واعتبار قرار مستقبل البلاد قرار جماعي يشترك فيه جميع العراقيين باختلاف مذاهبهم وقومياتهم وطوائفهم.

بعد كل هذه الاستطرادات والكلمات عن المواطن العراقي كصوت يتخطى السمع نجد تساؤلا يطرح نفسه هل سيقدر البرلمانيون هذه المعاناة ويضعونها نصب أعينهم لتعويض العراقيين عن ما فاتهم من مسافات زمنية ذهبت بأعمارهم سدى لكي يحافظوا على بلادهم.

إنـــه صـــمـــام أمـــان وحـــدة الـــعـــراق

صبيح الحافظ

أثارت التصريحات التي اطلقها سياسيون بارزون وهم يضطلعون بوظائف ومناصب قيادية في الدولة العراقية حفيظة الرأي العام العراقي واستفزازه مما أدى الى استنكارها وشجبها من قبل المثقفين العراقيين والعرب، أدباء وكتاب ومحللين سياسيين وغيرهم كونها تحمل نزعات قومية شوفينية متعصبة يهدف اصحابها الى اعادة العراق الى مرحلة الدكتاتوريات الاستبدادية المقيتة وخلق فتنة بين القوميتين المتأخيتين العربية والكردية .

ان اختراق الدستور وعدم الالتزام بنصوصه وقواعده القانونية (وهم ساهموا بوضع مواده وفقراته والتوقيع عليها) يعني عدم الايمان بالديمقراطية الناشئة وحركة التاريخ للتغيير.

فأن المادة (١٤) من الدستور ساوت العراقيين دون تمييز بسبب الجنس او العرق او القومية أوالاصل او اللون او الدين او المذهب او المعتقد او الرأي او الوضع الاقتصادي او الاجتماعي، وأن المادة (٦٥) اشترطت في المرشح لرئاسة الجمهورية:

١. أن يكون عراقياً بالولادة من ابوين عراقيين.

٢. أن يكون كامل الاهلية وأتم الأربعين سنة من عمره.

٣. أن يكون ذو سمعة حسنة وخبرة سياسية.

٤. أن يكون مشهود له بالنزاهة والاستقامة والاخلاص للوطن.

لهذا نرى ان الرئيس العراقي مام جلال انه حائز على الشروط المنصوص عليها في الدستور إضافة الى أن له مميزات قل وجودها عند عراقي آخر ، حيث وصفه المرجع الديني الأعلى سماحة اية الله العظمى السيد علي السيستاني بأنه صمام أمان وحدة العراق ، كونه يقف على مسافة واحدة من كل أطياف ومكونات الشعب العراقي.

وفي الساحة الدولية أنه انتخب نائباً لرئيس الاشتراكية الدولية عام ٢٠٠٨ وان هذا الانتخاب هو مدعاة فخر للشعب العراقي.

ونحن نتحدث بخصوص انتخاب فخامة الرئيس العراقي جلال الطالباني لولاية ثانية والعراق يمر بأزمات وصراعات حادة تتطلب إيجاد رجل قوي ذو ماضي مجيد في صد ومقارعة أعداء العراق بأطرافهم الداخلية والخارجية.

وبهدف ارساء اسس وقواعد الديمقراطية الناشئة ، فمن المفيد ان نذكر وبشكل موجز الخلفية السياسية لمام جلال وكيفية تأسيس حزبه (الاتحاد الوطني الكردستاني) ليطلع الشعب العراقي عن ماضي هذا الرجل والذي وصفوه برجل المهمات الصعبة.

على اثر اقرار اتفاقية الجزائر في ١٩٧٥/٣/٦ بين المقبورين شاه ايران وصدام حسين تم اغلاق الحدود الايرانية بوجه الثورة الكردية ومنع دخول الارزاق والمستلزمات الحياتية للثوار كما يقول الاستاذ كمال محي الدين ، مما اضطرت القيادة المركزية الكردية آنذاك الى اعلان وقف القتال والتخلي عن السلاح ودعوة الثوار (البيشمركه) للعودة الى بيوتهم ، ولكن وبعد مرور شهر واحد من تلك الاتفاقية المشؤومة ، غير ان جذور الثورة بدأت تنمو من جديد حيث برزت ثلاثة كيانات سياسية تدعو لاستمرارية الثورة من خلال تشكيل حزب جديد يجمعها وهذه الكيانات هي:

اولاً: الحركة الاشتراكية الديمقراطية في كردستان برئاسة الشهيد صالح اليوسفي ومن اعضائها البارزين الشهداء ابراهيم احمد وعمر دبابة وعلي العسكري ودكتور خالد سعيد وغيرهم.

ثانياً:الجمعية الماركسية للتنمية في كردستان – كوملة- وكان جلال الطالباني سكرتيراً لها ومن ابرز قادتها الشهيد شهاب نوري وشاه زاد صائب وفرياد محي الدين وخسرو محمد كول وفريدون علي وعمر سيد علي وغيرهم.

ثالثاً: مجموعة (الخط العريض) وتتكون هذه المجموعة من المثقفين وممن يتصفون بنكران الذات وذوي الخبرة الثورية والمشبعة افكارهم بضرورة استمرار الثورة ولقد كانت انطلاقة العمل في تأليف الاتحاد هي دعوة الاستاذ مام جلال الى اجتماع موسع مشترك لهذه المجموعات الثلاث لتشكيل جبهة وطنية كردية تحت اسم (الاتحاد الوطني الكردستاني).

ولظروف طارئة لم يحصل هذا الاجتماع الموسع وتم الاكتفاء بأجتماع مصغر في دمشق بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٢ في مطعم طليطله بمحلة الرمانه حضره الاستاذ مام جلال والسادة الدكتور فؤاد معصوم وعادل مراد وعبد الرزاق فيلي وأصدروا أول بيان لاعلان تشكيل (الاتحاد الوطني الكردستاني) نتيجة لاندماج التنظيمات الثلاثة سالفة الذكر وتم نشر البيان في ١٩٧٥/٦/١ أي بعد اقل من ثلاثة أشهر من اتفاقية الجزائر المشؤومة.